

السلم الحجاجي في خطب الإمام الحسين (عليه السلام)
الكلمات المفتاحية (السلم الحجاجي - خطب - الامام الحسين)

د. زهراء البرقعاعي

الكلية الإسلامية الجامعة/ النجف الأشرف

Pilgrimage in the speeches of Imam Hussein (peace be upon him)

Key words (Pilgrimage – the speeches – Imam Hussein)

Dr. zahraa AL- Barqawi

Islamic university College / Najaf

Abstract

Always trying speaker his words to make appropriate inadvertently influence argument to address that does not give is the other, and bow to the opinion of his interlocutor does not give up his position easily by defending his position to provide a counter argument, and the survival of the argument of the strongest, and this so-called Hajaji peace which is based on a set of laws it is set is empty of words with relationship ordina and require them to be satisfying the following two conditions: that all say is arranged in what peace needs to be about what is underneath it so necessary to say, located at the upper end of all the other words, though all statements in peace was a sign of a certain connotation, it was topped by ranking the strongest evidence.

يسعى المتكلم دائما بكلامه لتقديم حجة مناسبة قصد التأثير في مخاطبه الذي لا يستسلم هو الآخر، ولا يرضخ لرأي محاوره ولا يتخلى عن موقفه بسهولة عن طريق الدفاع عن موقفه بتقديم حجة مضادة، والبقاء للحجة الأقوى، وهذا ما سمي بالسلم الحجاجي الذي يبنى على مجموعة من القوانين فهو ((مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية))^(١) ويشترط فيها أن تكون مستوفية للشروطين التاليين: أن كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث يلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى ، وإن كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى^(٢).

وتطرح هذه النظرية تصورا لعمل المحاجبة من حيث هو تلازم بين الخطاب الحجاجي ونتيجته، إلا أن الخطاب الحجاجي والنتيجة في تلازمها تعكس تعددا للحجة في مقابل النتيجة الواحدة على أن هناك تفاوتاً من حيث القوة فيما يخص بناء هذه الحجج، كما أن الحجج قد تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، وتؤدي إلى نتيجة ضمنية واحدة، والحجة لا تكون حجة إلا إذا أفضت إلى نتيجة، مع التنويه أن النتيجة قد يصرح بها في الخطاب أو نستشف منها ضمناً^(٣).

وتقوم هذه النظرية على فرضية تدرج الحجج، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، وصولاً إلى النتيجة المتوخاة من المرسل، وأن هذه الحجج تدعم هذه النتيجة التي ينقاد إليها المتلقي، من خلال متابعة هذه الحجج، وما ستؤول إليه. وتنهض الحجج على علاقة ترابطية معينة؛ لذا فهي تشكل سلماً حجاجياً موجهاً نحو ما يريد أن يصل إليه المخاطب^(٤).

إن السلم الحجاجي ((لا يحمل قضيتين متعارضتين دفعة واحدة أو أكثر، وإنما يكفي بأطروحة واحدة مؤيدة أو معارضة مثبتة أو مفندة، وتنخرط القضايا الأخرى ضمن سلالم حجاجية أخرى منتظمة في مسار واحد، فتنشأ صياغة سلمية مقارنة مشتركة في نتيجة واحدة سابقة أو لاحقة بأقوالها الموجهة أو يؤدي عرض جملة من السلالم فاعلية في المستقبلين، عوض تقديم سلم واحد مؤيد أو معارض))^(٥) لذلك فإن الخطاب الحجاجي يعتمد على قيم الإثبات والنفي، بدلا مما يعتمد على الصدق والكذب؛ لأن الخطاب الحجاجي غايته القوة والضعف إزاء قضية ما^(٦)، ولهذا فإن ((مفهوم السلم الحجاجي بتركيزه على الطابع المتدرج والموجه للأقوال يبين أن المحاجبة ليست مطلقة، إذ لا تتحدد بالمحتوى الخبري للقول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون وإنما هي رهينة اختيار

هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة لذلك، فالحكم على المحاجة أساسه القوة والضعف اعتبارا لطابع التدرج فيها))^(٧).

وللسلم الحجاجي مجموعة من القوانين أهمها ثلاثة تتمثل فيما يلي:ـ

١- قانون النفي: ويقضي هذا القانون أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله^(٨)، ويمكن التمثيل لهذا بالمثالين الآتيين:

- فاطمة مجتهدة، لقد نجحت في المسابقة.

- خديجة ليست مجتهدة، إنها لم تنجح في المسابقة.

٢- قانون الخفض: يوضح قانون الخفض الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة *Moins que*^(٩)، وهو قانون حجاجي مفاده أن العبارات المنفية تساوي من جهة أخرى العبارات المثبتة، ذلك أنه ((إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها))^(١٠)، فلو أخذنا مثلا الجملة: أنا في صحة جيدة، فهذا معناه: أنا لست مريضة فالعبارة الأولى مساوية من حيث المعنى للعبارة الثانية، رغم أن الأولى مثبتة والثانية منفية، لكن ((تتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضا في سلمية تدرجية موضوعية... فلا تدرج الأقوال الإثباتية والأقوال المنفية في نفس السلم الحجاجي))^(١١).

٣- قانون القلب: وهذا القانون أيضا يتعلق بالنفي ذلك أن ((السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية))^(١٢) فإذا كان لدينا قولان أحدهما أقوى من الآخر، فإن نقيض القول الأقوى أقوى من نقيض القول الأضعف.

إن مفهوم التدرج الحجاجي في الخطاب من حيث تركيزه على مبدأ التدرج في توجيه الحجج يوضح أن المحاجة اللغوية لا ترتبط بالمحتوى وإحالة هذا المحتوى على مرجع معين بل هي رهينة القوة والضعف الذي ينفي عنها الخضوع لمنطق الصدق والكذب .

وإن طرفي الخطاب يختلفون في بناء السلام، حيث إنها تتصف بالخصوصية والذاتية، فبعض المتلقين يلخصون مواقف خصومهم، وآخرون يدمجونها في البرهان ويتبنونها مؤقتا، ((ومع أن السلم الحجاجي يبدو مقتصرًا على العلاقات اللغوية أو شبه المنطقية، إلا إنه يمكن توسيع مفهومه،

فلا يظل مقتصرًا على الأدوات اللغوية أو الاستلزمات شبه المنطقية، إذ يمكن أن يتم إدراج كثير من أدوات الحجاج وآلياته ضمنه، ليصبح إطارًا عامًا لتفاضل الحجج، بل وتغليب بعضها على البعض الآخر، انطلاقًا من المخزون اللغوي ونظامه والترانبيات المكتنزة في ذهن الإنسان، بتفعيل الكفاءة التداولية^(١٣)، ويتمثل هذا في السلم الحجاجي للمفهوم، وفي انتماء بعض الخطابات إلى سلمية معينة مستقرة في كفاءة المرسل التداولية، لوجود علاقات بينها تحكم منطق ترانبتها والسياقات التي ترد فيها، مثل علاقات التوكيد، وما يسمى بالأدلة أو الشواهد الجاهزة، كالأدلة القرآنية والأحاديث الشريفة وأقوال السلف والحكم والأمثال، ولا يقتصر ترتيبها السلمي على متنها، بل تتجاوز قوته إلى سند الرواية إن وجد^(١٤) و ((يتحقق السلم الحجاجي باستعمال أدوات لغوية، وآليات شبه منطقية كالتالي:

- الأدوات اللغوية، كالروابط الحجاجية، مثل (بل، لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب، بل) السمات الدلالية، ودرجات التوكيد.
- الصيغ الصرفية (أفعل التفضيل، صيغ المبالغة)
- (المفهوم: الموافقة، المخالفة)
- حجة الدليل^(١٥)

يلقي المتلقي في خطابه الحجة الأولى التي تكون مهياة للمتلقي ومحفزة لذهنه على التواصل والمتابعة لما سيأتي بصورة تصاعدية على وفق قوتها، للتأثير في المتلقي واستمالاته، ولعل اتجاه التدرج باتجاه واحد ضمن فئة حجاجية واحدة، هو الذي يقود إلى النتيجة بشكل غير ملتبس وهذا يرجع إلى الآليات اللغوية التي يعتمدها المرسل لبيان ترانبية حجاجه مع المتلقي، ومن ذلك قوله (عليه السلام) ((خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقية، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشا جوفًا واجرية سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين))^(١٦).

استعمل الإمام (عليه السلام) سلسلة من المرجعيات الحجاجية للوصول إلى نتيجة ارتبطت منذ بداية السلم الحجاجي بقيمة إنجازية فعلية أدائية وهي (حتمية الموت) من خلال صورة أثر خط القلادة على جيد الفتاة، فاستعمل (عليه السلام) القلادة للدلالة على حتمية الانقياد للموت وإحاطة الموت بالإنسان وتمكنه منه كإحاطة القلادة بجيد الفتاة وقد ركز الإمام على الفعل الإنجازي

(الموت) دون الفاعل (الله) لأن الفاعل معروف أولاً، ولإيلاء الفعل المركزية في التواصل مع المتلقي ثانياً، وقد قامت الدرجة من السلم على نوع من أنواع الحجاج وهي حجة الاشتمال أي أن ما يجري على الكل يجري على الجزء من هذا الكل، فالموت مصير الجميع (ولد آدم) وما الإمام (عليه السلام) إلا جزء من هذا الكل يجري عليه ما يجري عليهم .

ثم ينتقل الإمام (عليه السلام) إلى درجة أخرى في السلم الحجاجي وهي ولهه إلى أسلافه (جده وأبيه وأمه وأخيه وسائر الصالحين من بني هاشم) من خلال استعارة صورة الوله والاشتياق التي كانت مضرب الأمثال والتي أقرها القرآن الكريم وهي اشتياق يعقوب إلى ولده يوسف وما يحمله هذا الفراق من الحزن والضيم، وقد جسد الإمام (عليه السلام) اشتياقه إلى أسلافه اشتياقه إلى الموت المتمثل بالشهادة إذ ستكون حدثاً يجمعه بأسلافه ويطفئ نار شوقه لهم، وهو اشتياق دال على زهده بالحياة ورغبته عنها فمثلت هذه الدرجة من السلم حجة بالمثل والمثل استقراء بلاغي، وهو ((حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتهما، ويراد استنتاج نهاية احديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها))^(١٧)، إذ يستعمل المثل ((ليعقد الصلة بين السياق المشاهد وبين السياق الغائب، ويستحضر بهذا مصداقية الحجة التي ادخلها في خطابه))^(١٨)، وبذلك تكون من ((خصائص المثل أن له طابعاً إقناعياً برهانياً: لأنه يساق للإقناع، ويرد حجة ودليلاً على صدق مساقه، وصحة دعواه))^(١٩)

ثم انتقل (عليه السلام) إلى حجة قولية أخرى دالة على شهادته التي ينتظرها، تتمثل في تجسيده لحدث الاستشهاد وكأن السامع يراه أمامه، لأنه أراد أن يبين للمتلقي أنه يعلم المصير الذي ينتظره وأنه ماض إلى طريق الشهادة، وعد وعده به رسول الله (ﷺ)، وأراد (عليه السلام) أن يثير المتلقي لخلق حالة من التفاعل من خلال استعمال الفاظ موحية وصور استعارية معبرة عن المعنى المراد إذا ما علمنا إن كلمة المعنى لا نعني بها الشيء نفسه، وإنما كيفية فهم الشيء^(٢٠)، إذ بينت الأفعال الأدائية محتوى قضوي هو شراسة ووحشية الجيش، فهم كذئاب متوحشة بطونها فارغة ينهشها الجوع بقوة حتى تجد أمامها ما تقترسه لتملاً بطونها، فكما ينقض هذا الحيوان على فريسته فيمزقها ويقطعها، ينقض هذا الجيش على جسده الشريف ((إن الصورة الاستعارية في الخطاب لا تعنى بحقيقة الجوع وفراغ البطون، بقدر ما تصور الحاجة الدنيوية لهذا الجيش بأكراس هذه الحيوانات الجائعة))^(٢١)، وبذلك مثلت هذه الدرجة من درجات السلم الحجاجي حجة قوية إذ ((قوة الحجاج في

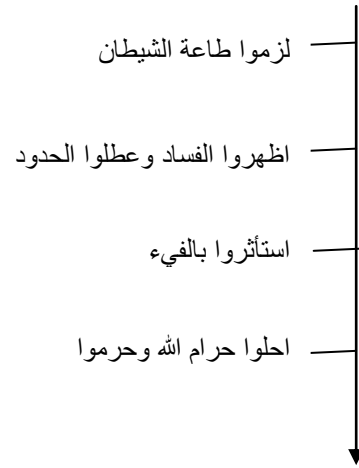
المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي إن للاستعارات ذات الدور الحجاجي خاصية ثابتة، فالسمات الدلالية المحتفظ بها في عملية التخيير الدلالي الذي تقوم عليه هذه الاستعارات، هي سمات قيمة^(٢٢) إذ ((تعرف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقى))^(٢٣)، وقد وظفها الإمام (عليه السلام) لإحداث ذلك التفاعل للمتلقى مع الحدث من خلال خلق فضاءات شعورية قائمة على تلك الاستعارات ووحشية صورتها.

ثم ينتقل الإمام (عليه السلام) الى النتيجة المترتبة على تلك الحجج وهي أن (رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين) ليبين أن المصير الذي اختاره هو مصير الصبر على قضاء الله والقائم على علاقة تبادلية بين الصبر ووفاء الأجر، بعد أن قرن رضا الله برضاهم، ليبين للمتلقى مصداقية المشروع الذي نهض به الإمام ومركزية شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) .

ومن قوله (عليه السلام) ((أيها الناس إن رسول الله ﷺ قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحق من غير، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني فإن تمتم عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم في أسوة))^(٢٤) .

بدأ الإمام (عليه السلام) خطابه بحجة الدليل والتي بيّنا سابقا أنها من وسائل تحقيق السلم الحجاجي، وتعد الحجج الجاهزة أو الشواهد هي من دعامات الحجاج القوية، إذ يضعها المرسل في الموضوع المناسب، ويمكن تصنيفها في السلم الحجاجي بالنظر إلى طبيعتها المصدرية، فهي ليست من إنتاج المرسل بقدر ما هي منقولة على لسانه، فهي تعلق الكلام العادي درجة، مما يجعلها ترقى في السلم الحجاجي إلى ما هو أرفع^(٢٥)، وهي إما محاوراة بعيدة أو تناص^(٢٦)، وتسهم هذه الآلية في منح المرسل قوة سلطوية بالخطاب؛ عند التلفظ بخطاب ذي بعد سلطوي في أصله، عندها يتبوأ المرسل بخطابه مكانا عليّا، ويستمد ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه^(٢٧)، إن ((عرض

السلطة الدينية لقوتها المعرفية بهذه الطريقة المباشرة تعتمد على تقنيتين، هما التناص والافتراضات المسبقة^(٢٨)، ويمثل حديث الرسول محمد (ﷺ) الحجة التي استعان بها الإمام (عليه السلام) لمعالجة القوم لكونه يمثل سلطة دينية لا يمكن نكرانها من قبل المتلقي، وكان هدفه (عليه السلام) تسويغ ثورته وخروجه على حكم يزيد بن معاوية وبيان مشروعية هذا الخروج والدعوة إلى الثورة على الحاكم الباغي المتمثل في حكم بني أمية، من خلال السلم الحجاجي الذي ((يمثل صلب الحجاج في تدافع الحجج وترتيبها بحسب قوتها، إذ لا يلبث غالبا إلا بالحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق، ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه))^(٢٩) يزداد على سلطة هذه الحجة وقوتها أنها جاءت مؤكدة بحرف التوكيد (إن) والتي تعد آلية من آليات عمل السلم الحجاجي لخلق حالة من التواصل مع المتلقي والتأثير فيه إذ للأداة (إن) ((طاقة حجاجية عالية؛ لأنها تقدم النتيجة المطلوبة ومن ثم تلحقها بالحجة أو الحجج، فتكون مدعاة لإلزام المتلقي بقبول الأطروحة المعروضة أو أن يزيد اقتناعه بها))^(٣٠)، ثم ينتقل السلم الحجاجي إلى فعل بني أمية الذي ترتب وفق سلمية خاصة به قائمة على مخالفة سنة الله ويمكن أن نمثل لهذا السلم بالمخطط الآتي القائم على قانون الخفض:



وقد رتب (عليه السلام) سلمية خطابه على آلية القياس الخطابي وهي ((آلية من آليات الذهن البشري، تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاج ما، بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك، بناء على أن القياس يقوم على التجربة، التي ينطلق منها المتكلم لتشكيل صورة استدلالية))^(٣١)، لهذا فالمتكلم عادة ما يخفي المقدمتين ويظهر النتيجة، أو يظهر المقدمتين ويخفي النتيجة، وعليه فهو يستعمل آلية من آليات الحجاج فالإمام (عليه

السلام) قدم مقدمتين؛ الأولى أنه من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ولم يغير منكره يناله العقاب، الثانية أن بني أمية خرجوا عن طريق الله وحلوا حرامه وحرموا حلاله، فتكون النتيجة أنه لا بد من تغيير أفعال ومنكر بني أمية، وإلا نزل العقاب، والإمام (عليه السلام) أحق بالتغيير من سواه.

ومن خطبته (عليه السلام) أول نزوله كربلاء^(٣٢) ((أيها الناس، اسمعوا قلوي ولا تعجلوني حتى أعظم بما لحق لكم علي، وحتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قلوي، وأعطيتموني النصف، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم (فلما ألقوا قال يا موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين إن وليي الله الذي نزل الكتب وهو يتولى الصالحين))^(٣٣).

استعمل الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة الأدوات اللغوية (الروابط الحجاجية)، إذ يكون دورها الربط بين قضيتين، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب^(٣٤) ، ولقد اقترح ديكرو مفهوما حجاجيا لهذه الروابط والأدوات تزيح ذلك التصور التقليدي لها وذلك بالبحث عن قيمتها الحجاجية، مؤكدا على ضرورة التمييز بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالروابط تربط بين قولين أو بين حجتين أو أكثر، حيث كل قول أو ملفوظ له دور واضح ومشار إليه ضمن استراتيجيات حجاجية عامة^(٣٥)، فقد استعمل الإمام (عليه السلام) الرابط الحجاجي (حتى) لدورها في ترتيب منزلة العناصر، ولما لمعانيها واستعمالاتها من سلمية.

ويأتي الرابط (حتى) هنا ليفضي إلى معنى انتهاء الغاية، والغاية فيها تعني شيئا ينتهي به المذكور أو عنده، ودوره إقامة علاقة ترابطية بين طرفي القول، وبحسب السياق^(٣٦)، وأن هذه العلاقة تبنى على الوسائل والغايات، بمعنى أن (حتى) تعد قيمة تربط بين علاقيتين معترف بهما؛ فالإمام (عليه السلام) يستعمل مجموعة من الحجج ويرتبها وفقا لقوتها في السلم الحجاجي، فالحجتين الأوليتين (إسمعوا لي) و (لا تعجلوني) تم ربطهما بواحد من (روابط الوصل التشريكي) وهو الواو، ووظيفته ((تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة))^(٣٧)، أي ((إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول))^(٣٨) وكانتنا أضعف من الحججتين الواردتين بعد حتى، إذ ربطت حتى بين جملتين تنذران بالاهتمام والانتباه، وبين الشرح والبيان، وربما أن الذي سوغ ذلك هو أن الرابط قد ربط بين طرفين لهما علاقة متماثلة في الخطاب، وهذه العلاقة في طرفها الأول (الإمهال) وطرفها الثاني (البيان والتوضيح)، فكانت الحججتين ما قبل (حتى) علة للحجتين ما بعدها، مما أدى إلى ترابط الخطاب وتمتين دعائمه؛ فالحجة

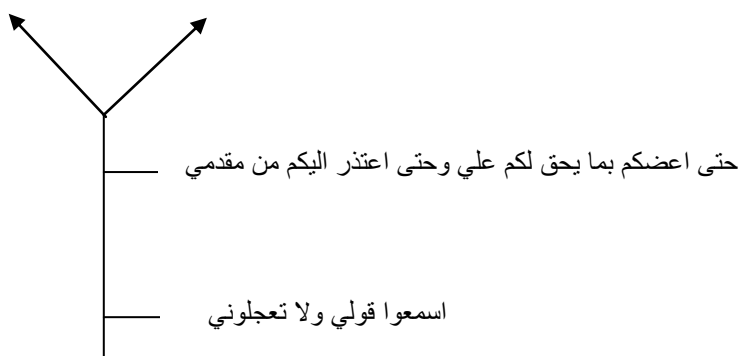
التي تأتي بعد هذا الرابط أقوى حجة يمكن أن نتخيلها ونتصورها، ولم تتوقف تتراتبية الحجج في السلم إلى هذا المستوى فحسب بل نجد أن الإمام (ع) ربط بين الحجج السابقة وتحقق الحجة الثالثة (قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتمونني النصف) برابط الشرط الأساسي ومهمته التعبير عن العلاقات بين الأحداث فقد ((تكون هذه العلاقات ذات قوة متينة، على معنى؛ أن الأحداث يمكن أن تكون متعينة، أو مشروطة بعضها ببعض، وينبغي أن تسمى هذه الفئة الشاملة لمختلف الروابط، مما يعبر عنه باقتران تبعية العلاقات بالقضايا والأحداث بلفظ القضايا المتشارطة))^(٣٩)، أي إن تحقق الحجة الثالثة مرتين بتحقق الحجتين الأوليتين، والحجة الثالثة في هذا السلم متغيرة، مرتبطة باختيار المتلقي للسبيل الذي يروم سلوكه، من خلال صورة تقابلية متمثلة بثنائية شرطية تساؤلية، طرف كل جزء منها يمثل فعل الشرط وجوابه على وفق آلية حجاجية رائعة زينها الإمام (عليه السلام) أسلوبيا ومقاميا ليبين منزلته من الله سبحانه وتعالى في قوله ((إن وليي الله الذي نزل الكتب وهو يتولى الصالحين)) ليبين عقيدة الإصلاح التي تبناها لنهضته.

وقد وضع الإمام الحسين (عليه السلام) هذين السبيلين من خلال أسلوب الحجاج الشرطي و ((الأصل في هذا القانون الحجاجي هو قاعدة تخاطبية، مقتضاها أن المتكلم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة، فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله على إفادة أن العلاقة بين المقدم والتالي علاقة شرط طردا وعكسا لا طردا فحسب))^(٤٠)، وقد ربط (عليه السلام) بين جملة الشرط وجوابه برابط لغوي وهو الفاء، مستعملا أداة الشرط (إن) وتستعمل في المشكوك في وقوعه^(٤١)، ليأتي جواب الشرط الأول الدال على السبيل الأول المترتب على اختيارهم من خلال استعمال (أفعل التفضيل الحجاجي) وتكمن أهمية دور أفعل التفضيل الحجاجي في أنه يتضمن صيغا تمكّن المرسل من إيجاد العلاقة بين أطراف ليس بينها أي علاقة بطبعها، كما أنه يمكنه من ترتيب الأشياء ترتيبا معيناً، فبدون استعماله ما كان لها أن تترتب^(٤٢)، وهو ((اسم مشتق على وزن أفعل يدل في الأغلب على أن شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه))^(٤٣)، فالإمام (ع) ربط بين قبولهم العذر له وكونهم (أسعد)، أي أسعد من غيركم أو أسعد الناس.

أما جواب الشرط الثاني إن اختار القوم السبيل الثاني فلم يصرح به الإمام تصريحاً مباشراً بل استعمل الدلالة المستلزمة من الخطاب (فحوى الخطاب) ، إذ يعد من أهم أوجه تجليات الحجاج عبر السلم المفهومي، وهو ((أن ينص على الأعلى وينبه على الأدنى، أو ينص على الأدنى

وينبه على الأعلى (... فحكم هذا حكم النص)^(٤٤)، إذ استعمل أقوى الحجج الممكنة في سلم الحجاج وهو حجة الدليل القرآني، التي تعطي للخطاب قوته وسلطته، خاصة أنه (٣) قد شبه نفسه بنبي الله موسى (٣) والقوم الذي خرجوا لقتاله السحرة الذين قلب الله سحرهم، مردفا هذه الحجة بحجة أقوى وكانت بمنزلة الحجة المعلة للحجة الأولى وهي أن الله سيبطل السحر، لأن الله هو وليه وهو مولى الصالحين، ويمكننا أن نلاحظ تراتب الحجج في السلم الخطابي كآتي:

ان قبلتم عذري كنتم بذلك اسعد كنتم خاسرون حال سحرة موسى



ومن استعمال الإمام الحسين (عليه السلام) للروابط الحجاجية التي تتسهم في ترتيب الحجج وفق قوتها في السلم الحجاجي قوله (عليه السلام) ((أيها الناس معذرة إلى الله وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أن أقدم إلينا فليس لنا إمام))^(٤٥).

فقد استعمل الإمام الرابط الرابط الحجاجي (حتى) لربط مجموعة من الحجج فالحجة الأولى قوله (عليه السلام) (أتتني كتبكم)، أما الحجة الثانية فقوله (عليه السلام) (أتتني رسلكم)، وهذه الحجج الواردة بعد حتى ساقها الإمام للقوم وقدمها لهم لتخدم نتيجة واحدة مفادها (أفنعوا بنصرتي)، وقد كانت الحجج الواردة بعد حتى أقوى الحجج، وتتوقف الجملة الأولى (إني لم آتكم) عليها، بمعنى (لم آتكم إلى أن أتتني كتبكم ورسلكم) لتكون حجة بالغة على القوم لنصرتهم لأنهم أرسلوا له وطلبوا منه القدوم لأن ((القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي))^(٤٦).

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة بهذه الحجج وترانبيتها بل استعمل حججا أخرى زيادة في التوكيد وعظيم الحجة على القوم المخاطبين، لذا نجد أن الخطاب قد تحول إلى الحجج التعريفية (هوية الحسين) ومنزلته والتي عبر عنها بأسلوب الإستفهام التقريري والتي تستلزم إجابة من السامعين تترجم قوليا ب (بلى) وفعليا ب (عدم قتاله) بعد أن قدمها الإمام في بداية هذا

النص على شكل تساؤل وهي **(هل يحق لكم قتلي وانتهاك حرمتي)**، إذ قامت هذه الخطبة على نظرية ماير (المساءلة والبلاغة) إذ أسس منها تساؤلها يقوم على مبدئين هما : المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال ومبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال، إذ تقوم كل الأقوال في العمليات التواصلية على مبدأ الافتراض المؤسس على الجواب والسؤال المفترضين، انطلاقاً من مجموعة من المقومات التي تحكم العمليات التواصلية كالسياق والمعلومات السالفة والمعلومات الموسوعية والتجربة الذاتية والقدرات التفكيرية والتأويلية والتخيلية، إذ يصبح كل قول خبراً أو إنشاء افتراضاً لشيء ما داخل الافتراض السياق النصي، أي جواباً عن سؤال سالف، وسؤالاً لجواب لاحق، وبهذا يعبر الافتراض عن افتراضات متعددة ومختلفة تقتضيها العلاقات الإنسانية لتحقيق أهدافها ومراميها، تقتضيها انفعالات ذاتية تؤثر في سياق الخطبة، إذ يقول (عليه السلام) **((انسبونني فانظروا من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحق لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه، أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي، أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي، أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله قال لي ولأخي، هذان سيدي شباب أهل الجنة))**^(٤٧) ، فقد تدرج الإمام (عليه السلام) في نسبه باستعمال اللغة الأسرية معياراً يحتج به على محاولة القوم قتاله، علّ قرابته من هؤلاء الذين سيذكروهم تكون رادعاً لهم، وقد درّج تلك الصلة من الأشرف إلى الشريف، فاحتج بأن نسبه يعود إلى رسول الله (ﷺ) لأنه ابن بنت نبيهم ، وقد كرر هذا القول وهذه الحجة في موضع آخر من الخطبة بحصر هذه النسبة به وحده من خلال القسم فهو الوحيد من الأحياء في هذا الكون من ينطبق عليه كونه ابن بنت نبي ما بين المشرق والمغرب، ثم تدرج نحو الحجة الأقل قوة من الحجة الأولى وهي كونه ابن وصي رسول الله (ﷺ)، ولم يكتف (عليه السلام) بذكر حجة الوصاية والولاية فقط بل فصل القول بعد إجماله من خلال ذكر مجموعة من الصفات الرديفة التي يعرفها القوم وهي راسخة في الذاكرة الجمعية لهم تأكيداً على أسبقيته في الإسلام، فوصي رسول الله هو (ابن عمه وأول المؤمنين به من عند ربه)، وزيادة في هذا التدرج في السلم الحجاجي انتقل إلى ذكر صلته بحمزة فهو عم أبيه، وجعفر الطيار الشهيد عمه، ثم انتقل من الحجج الدالة على منزلته الأسرية ومكانته الاجتماعية إلى حجة دينية (حجة الدليل المتمثلة) بقول الرسول (ﷺ) فيه وفي أخيه الحسن (عليه السلام) بأنهما سيدي شباب أهل الجنة، والملاحظ أن الإمام الحسين (عليه السلام) قد

استعمل في هذه الخطبة مجموعة من الشواهد والحجج الجاهزة متمثلة بالآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف.

الخاتمة

- ١- استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) السلم الحجاجي وتدرج الحجج في السلم لإقناع المتلقي والتأثير فيه وإثبات مشروعية نهضته الحسينية.
- ٢- وظف الإمام الحسين (عليه السلام) الحجج بأنواعها، من حجة الشاهد القرآني أو حجة الحديث النبوي الشريف، أو غيرها من الحجج مدرجا إياها من الأقوى إلى الأضعف.
- ٣- وظف الإمام الحسين (عليه السلام) الآليات اللغوية والروابط الحجاجية لتوضيح تراتبية الحجج في السلم.

الهوامش:

-
- (١) الحجج في درس الفلسفة، مليكة غيار، احمد رويض، علي أعمور ٥٤.
 - (٢) الحجج في درس الفلسفة، مليكة غيار، أحمد مزيل، محمد رويض، علي أعمور ٥٤.
 - (٣) ظ: نظرية الحجج في اللغة، شكري المبخوت ضمن كتاب (أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) ٣٦٣.
 - (٤) ظ: الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، د. عمارة ناصر ١٩٤.
 - (٥) سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني قصص الأنبياء نموذجا، عميش بن عمر ١٧٢.
 - (٦) ظ: الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، د. عمارة ناصر ١٩٤.
 - (٧) نظرية الحجج في اللغة ٣٧٠.
 - (٨) ظ: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن ٢٧٨.
 - (٩) ظ: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي ٢٩.
 - (١٠) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن ٢٧٧.
 - (١١) اللغة والحجاج، ابو بكر العزاوي ٣٠.
 - (١٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن ٢٧٨.
 - (١٣) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ٥٠٤.
 - (١٤) م. ن ٥٠٤.
 - (١٥) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ٥٠٧.
 - (١٦) نزهة الناظر وتبنيه خاطر : العلامة الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني ٥٨ ، وظ: كشف الغمة في معرفة الأئمة لأبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي ٢ / ٥٧٣.

- (^{١٧}) في بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة البلاغة العربية، محمد العمري ٨٢.
- (^{١٨}) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ٥٤٢.
- (^{١٩}) من قضايا النقد القديم: الحكمة والمثل؛ المفهوم والعلاقة والتفويض، محمد إقبال العروي ٦٠.
- (^{٢٠}) ظ: نثر الإمام الحسين دراسة بلاغية، ميثم مطلق، ٣٢.
- (^{٢١}) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية، هادي سعدون هنون ٧٨
- (^{٢٢}) الاستعارة والحجاج، ميشيل لوجيرين مجلة المناظرة ٨٧.
- (^{٢٣}) اللغة والخطاب، عمر أوكان، ١٣٤.
- (^{٢٤}) تاريخ الطبري ٤٠٣/٥ ، وظ: الكامل في التاريخ ٢٨٠/٣ ، و جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاخرة، أحمد زكي صفوت ٤٠.
- (^{٢٥}) ظ: استراتيجيات الخطاب ٥٣٧.
- (^{٢٦}) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن ٤٧.
- (^{٢٧}) استراتيجيات الخطاب ٥٣٧.
- (^{٢٨}) مظاهر التفاعل بين اللغة والسياق الاجتماعي ، عبد الله الحراصي ٧١.
- (^{٢٩}) استراتيجيات الخطاب ٥٠٠
- (^{٣٠}) بنى الحجاج في نهج البلاغة دراسة لسانية، علي عبد الوهاب عباس (أطروحة دكتوراه) ٨٢
- (^{٣١}) الحجاج في كتاب الإمتاع والمؤانسة، حسين بوبلوطه، ٩٩.
- (^{٣٢}) ظ: واقعة الطف، ابو مخنف الكوفي ٢٠٦.
- (^{٣٣}) تاريخ الطبري ٤٢٤/٥ ، وظ : أنساب الأشراف ١٨٨/٣ ، الإرشاد ٣٣٩-٣٤٠.
- (^{٣٤}) استراتيجيات الخطاب ٥٠٨.
- (^{٣٥}) ظ: اللغة والحجاج، ابو بكر العزاوي ٢٦.
- (^{٣٦}) ظ: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، د. رضوان الرقيبي ١٠٧.
- (^{٣٧}) النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني ٨٣.
- (^{٣٨}) المقتضب في اللغة، المبرد ٤
- (^{٣٩}) م. ١٠١.
- (^{٤٠}) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن ٣٩٧.
- (^{٤١}) في النحو العربي ٢٩٠.
- (^{٤٢}) ظ: استراتيجيات الخطاب ٥٢٨.
- (^{٤٣}) النحو الوافي ، عباس حسن ٣٩٥.
- (^{٤٤}) كتاب المعونة في الجدل، أبو اسحاق ابراهيم الشيرازي، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي ١٣٧
- (^{٤٥}) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٥٥٢ / ٤.
- (^{٤٦}) اللغة والحجاج، د. ابو بكر العزاوي ٧٣.
- (^{٤٧}) الكامل في التاريخ ٢٨٧/٣.

المصادر والمراجع

- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٤ .
- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٧٧.
- تاريخ الأمم والملوك، الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر ١٩٧٤.
- جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٥٧.
- الحجاج في درس الفلسفة، مليكة غبار، أحمد مزيل، محمد رويض، علي أعمور، أفريقيا الشرق، (د.ت)، ٢٠٠٦.
- الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، د. عمارة ناصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف الجزائر ط ١، ٢٠٠٩.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان، ط ١، ١٩٨٧.
- في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة البلاغة العربية، محمد العمري، دار الثقافة، الدار البيضاء ط ١، ١٩٨٦.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق عبد الوهاب النجار، مصر ١٣٥٦.
- كتاب المعونة في الجدل، أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي، تحقيق عبد المجيد تركي، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ .
- كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن علي بن عيسى الأربلي، تحقيق علي الفاضلي، مطبعة ليلي ١٤٠٩.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٨.
- اللغة والحجاج، د. ابو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٦.
- اللغة والخطاب، عمر أوكان، أفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠١.

- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط٤، د.ت.
- نزهة الناظر وتنبيه خاطر، العلامة الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني، مؤسسة الإمام المهدي، قم ١٤٠٨.
- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق المغرب، ط١، ٢٠٠٠.
- نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، سلسلة آداب كلية الآداب، منوة، تونس المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، د.ط - د.ت .
- واقعة الطف، ابو مخنف الكوفي، تحقيق محمد هادي اليوسفي الغروي، (د.ت) .

الرسائل والأطاريح

- بنى الحجاج في نهج البلاغة دراسة لسانية، علي عبد الوهاب عباس (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣.
- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية، هادي سعدون هنون، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨.
- الحجاج في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بوبلوطة، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١٠.
- سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني قصص الأنبياء نموذجاً، عميش بن عمر، اطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية، قسم الإعلام والاتصال، ٢٠١٠.
- نثر الإمام الحسين دراسة بلاغية، ميثم مطلق، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة القادسية ٢٠٠٦.

المجلات والدوريات

- الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، د. رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، ٢٤، المجلد ٤٠، ٢٠١١.
- الاستعارة والحجاج، ميشيل لوجيرن، مجلة المناظرة، المغرب، السنة الثانية، العدد٤، ١٩٩١.

-
- مظاهر التفاعل بين اللغة والسياق الاجتماعي ، عبد الله الحراصي، مجلة نزوى، عمان، العدد ٢٤، ٢٠٠٠.
 - من قضايا النقد القديم: الحكمة والمثل؛ المفهوم والعلاقة والتفويض، محمد إقبال العروي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، العدد الرابع والثلاثون، ٢٠٠١ .